شعرية المفارقة في غورنيكا عراقية

أ.د. محمد جواد حبيب البدراني
كلية التربية / جامعة الموصل

ورد مفهوم المفارقة بمعنى التصنع والادعاء والاختفاء خلف المظهر الكاذب منذ جمهورية أفلاطون إلا أنها لم تدخل بوصفها مصطلحا إلا مطلع القرن السادس عشر ولم يتطور مفهومها الا في أواخر القرن الثامن عشر[1] حيث أفادت المفارقة من التأملات الفلسفية والجمالية ولعل من ابرز من طور مفهومها (فردريك شليجر) الذي يرى ان العالم في جوهره ينطوي على شكل من النقيضة لذا ينبغي على الكاتب ان يقف على مقربة من عمله وبمعزل عنه في الوقت ذاته ، والفارقة عنده وعي جلي بالفوضى الكاملة فهي هزل غامض يحأول ان يرتفع فوق ابداع الانسان وفضيلته ونبوغه[2]، كما أن وقفة الناقد الانجليزي (مونوب ثرلول) الذي نشر مقالة طويلة بعنوان (المفارقة عند سوفوكليس) يعدها ميويك اخر خطوة في تاريخ المفارقة وانما جاء بعدها من تنظيرات تدخل في باب اعادة الصياغة أو اعادة الاكتشاف[3] .

يعرف المعجم الادبي المفارقة بأنها "رأي غريب مفاجئ يعبر عن رغبة صاحبه في الظهور وذلك بمخالفة موقف الاخرين وصدمهم في ما يسلمون به"[4] أو هي "إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستناد إلى اعتبار خفي على هذا الرأي العام حتى وقت الإثبات"[5] وقد وردت عشرات التعريفات للمفارقة في كتب النقد بحيث يصعب حصرها[6] . بيد أن المفارقة ارتدت عبر الزمن وجوها مختلفة لكنها في مجملها تنبني على عبارة متناقضة لكنها بعد التأمل تنجلي عن منظومة تتيح للمبدع الهروب من قيد المباشرة والابحار في مرافئ الضبابية والابهام الشفاف ، والمبدع الذي يجعل المفارقة فلسفة وتصرفا يستطيع ان يلتقط اشتات المفارقة في الواقع والماحول ليكثفها في موشور الابداع محققا اعلى درجات التوتر مرتقيا إلى لذة النص ودهشته عبر تفعيل التفاعل بين الدلالات المباشرة والدلالات الباطنية التي تعمل على مشاكسة افق توقع المتلقي وتغريب ثقافته السمعية والبصرية والذهنية في محأولة لخلق مفارقة جديدة قائمة على تشكيل جديد لدلالات اللغة التي تبدو للوهلة الأولى سطحية تسطيحية الا ان بناء المشاهد على وفق ثقافة المفارقة يمنحها جمالا ورعبا غير عاديين مما يدفع المتلقي إلى البحث عن الروح الهائمة خلف ضباب المفردات[7] .

تضج مجموعة جمال نوري بحشد من المفارقات القائمة على الغموض والتخييل الذي يعزز الوعي الفكري والجمالي في النص القصصي ويزيد من توتره وكثافته ، وستمنح هذه الدراسة لنفسها الجرأة على تقصي معطيات المفارقة واستنطاق ابرز فاعلياتها وإبراز جمالياتها مستضيئة بما أفرزته الدراسات السابقة من أنماط دون اقحامها على النص بل محأولة الاجتهاد باجتراح مفارقات بتسميات قد تستشف من تذوق بنية النص واستقراء شعريته، بيد ان هذه الدراسة تعرف سلفا ان الكثير من التداخل بين انماط المفارقة يحدث في قصص جمال نوري .

1- **مفارقة العنوان**

تعد عتبة العنوان أول مداخل النص اذ يعمل العنوان "على بلورة موضوعيته وتحديد رؤيتها وترميز دلالتها في مفردة أو عبارة ذات اجزاء الفاظ مفردة تتعاقب لاداء وظيفة تاسيس (وجهة نظر) من التركيب العام للنص[8] من هنا فالعنوان اشكالية مهمة وخطيرة ... لما لها من حضور تشكيلي وسيميائي يسهم في تكامل العمل لذا تعددت اساليب الروائيين في الشغل على هذه العتبة وانشغلوا بها انشغالا لا يقل اهمية ابدا عن انشغالاتهم البنائية في مراحل التكوين الاخرى للعمل لذلك عدت دراسة العنوان أهم مداخل النص ذلك ان العنوان هو تكثيف للنص يحفز المتلقي على استبطانه والبحث عن بؤر الجمالية والغور في اعماقه[9] .

لقد اختار القاص جمال نوري لمجموعته عنوان (غورنيكا عراقية) مستثمرا اسم لوحة (الغورنيكا) وهي لوحة رسمها الفنان العالمي بابلو بيكاسو المولود في ملقة في اسبانيا عام 1881م والذي عاش في فرنسا وتوفي عام 1973 وقد رسم اللوحة عام 1937 تأثرا بالمجزرة التي تسببت بها الطائرات الالمانية النازية قبيل الحرب العالمية الثانية بالتواطؤ مع الجنرال فرانكو احد امراء الحرب الاهلية الاسبانية آنذاك ، فقد اثارت حادثة قصف قرية (جورنيكا) بأطنان من القنابل وما خلفته من دمار شامل وعدد هائل من الضحايا فاق الفي قتيل من المدنيين من ابناء وطنه اسبانيا اثارت وجدانه الانساني المحض وأشعلت في نفسه سخطا كبيرا على هذه الحرب فأنتج لوحته الرائعة التي إستمدت اسمها من القرية المنكوبة ونفذها بلا ألوان وبانفعال صادق ومتمرد وساخط بالابيض والاسود والرمادي المتضخم وبقياس 349سم طولا و766سم عرضا وقد شغلت هذه اللوحة الأوساط الفنية العالمية ودارت بين عدة متاحف قبل ان تستقر في متحف الفن الحديث

بنيويورك بناء على طلب صاحبها الذي اشترط ان تعود إلى اسبانيا بعد عودة الديمقراطية اليها في عام 1981 عادت اللوحة إلى اسبانيا واستقبلت استقبالا ملكيا وفرش وفي طريقها البساط الاحمر واستقبلت بالمدافع لتستقر في متحف الملكة صوفيا بمدريد .

لقد برع القاص في اختيار عنوان مجموعته (غورنيكا عراقية) فالمجموعة تمثل مآسي الانسان العراقي في زمن الحصار والاحتلال مستفيدة من وقائع واقعية عاشها الانسان العراقي وكأن متلقيها العراقي سيشارك في احداثها فكأن جمال نوري سيستفيد من تقانة الكاميرا السينماءية ليصور الواقع العراقي إبان الاحتلال وما سبقه من ممهداته وما حل ببلده من دمار شامل لذلك جاء اختيار اسم (غورنيكا) ليشكل مفارقة قائمة على ان جملة الديمقراطية الذي اتخذوا من ما حدث لـ (غورنيكا) الاسبانية مبررا للحرب العالمية الثانية دفاعا عن الانسانية – كما يدعون- لكن هؤلاء ذاتهم حولوا القرى والمدن العراقية إلى غورنيكا جديدة ومن هنا تنبثق شعرية المفارقة في العنوان فقد عادت غورنيكا من جديد ولكنها عراقية هذه المرة تتكرر في كل يوم على ارض العراق ابطالها حماة الديمقراطية الذين كانوا يدعون انهم حاربوا دفاعا عن قرية (غورنيكا) المنكوبة .

ويعزز العنوان اللوحة التي على الغلاف والتي تتداخل فيها مسلة حمورابي مع أسد بابل والجنائن المعلقة والتي تشكل علامة سيمائية للدمار الذي حل في بلد الحضارات الذي تحول إلى جوررنيكا جديدة يعاد رسمها كل يوم .

اما قصة جورنيكا عراقية والتي استمدت المجموعة منها اسمها فيقول فيها القاص :

"بدأ الأفق الملبد بغيوم داكنة اقرب إلى الفوضى التي استشرت على الارض ولم تكن الغيوم تنذر بمطر قادم انما كان المشهد كله يوحي بزوابع وعواصف مفاجئة ..

اسفل الغيوم مباشرة عصابة مشدودة بإتقان على رأس امرأة اعتادت مواجهة المحن .. عينان ذابلتان وانف دقيق ينتهي بفم مزموم على وجع أزلي تجاعيده الخاصة على وجه حنطي منطفئ ..

العينان تستغيثان وهما تختصران نزيف عمر بأكمله تبعثر بين الحروب والمخأوف والانتظار القاسي للعائدين من بوابات الموت ، التي اشعل آثونها المنكفئون في غرفهم السرية وهم يتطلعون بسعادة إلى جراحنا النازفة .

تحت الوجه المنحوت بأنامل الفجيعة يسترخي صدر مكشوف ناتئ العظام جرحته اظافر يد استلقت جانبا في حركة تراجيدية صادقة ... اليد الاخرى تسمرت في الفضاء الساكن تحت غيمة يتيمة .. تحت جسد ناحل رث الثياب ثمة كيس ابيض يضم رفات انسان قد يكون ابنها أو اخاها أو زوجها .

تنسحب العدسة للخلف فيتسع المشهد ليحتوي مئات الأكياس ومئات الرجال الواجمين وهم يتطلعون بذهول وريبة إلى الأفق المتسرب بالحمرة"[11] .

ان القصة قائمة على مفارقة واضحة هي مفارقة العام والخاص فهذه صورة عامة لبلد تعرض لمآس امتدت أكثر من ربع قرن فحتى غيومه لم تمطر انما تمنحه عواصف ورعود لا تبقي ولا تذر اما مفارقة الصورة التي يرسمها أنموذجا للمرأة العراقية فهي تحمل ملامح حزن ازلي محفور صنعته الايام التي جعلت هذا الحزن متوارثا في ذاكرة الاجيال العراقية ، ولعل عمق المفارقة يتجسد في مفارقات لفظية يختارها الشاعر "نزيف عمر كامل تبعثر ..." (بوابات الموت التي اشعل اتونها المنكفئون في غرفهم السرية وهم يتطلعون بسعادة إلى جراحنا النازفة"

وتبلغ المفارقة ذروتها حين تتضح معالم الكيس الأبيض الذي يضم رفات ابن أو اخ أو زوج فالمأساة ليست مأساة امرأة واحدة أو أسرة واحدة بل امتدت لتشمل كل بيت عراقي وليصبح وجه كل عراقية ملفعا بالسواد وتختتم المفارقة ليضم مئات الأكياس لمئات الجثث التي تتكرر كل يوم .

ان شعرية المفارقة في هذه القصة تكمن في ان (جورنيكا) الاسبانية حدثت مرة واحدة في حين (جورنيكا العراقية) تتكرر كل يوم في مشهد لا يفارق الذاكرة ولا يخرج منها انها مأساة كل يوم التي تجسد مفارقة الحياة العراقية التي تسخر من الواقع وتدينه بإحساس مفعم بالفجيعة والألم والمفارقة المستندة إلى تجربة إنسانية مؤثرة لتغترف من مرتع الحياة صورة الإحباط المستمر الذي يجعل من صورة الأمل المنتظر مخيماً ومغطى بسراب فارغ يجعل الانتظار لا مجديا والأمل مستحيلا .

2- **المفارقة الدرامية :**

ارتبط ظهور هذا النمط بالمسرح ومنه انتقل للاجناس الحكائية وتقوم المفارقة الدرامية على شخصية يحمل كلامها ازدواجا بين وضعين احدهما كما يبدو للمتكلم واخرى إلى ما هو عليه بصورة مناقضة لسابقة وسيستدعي ذلك استحضار ثلاثة عوامل :

1- توفر التوتر في العمل القصصي .
2- يجب ان تكون الشخصية الأولى جاهلة بحقيقة الظروف المحيطة من سيشكل تناقضا بين مظاهر الأشياء وحقيقتها .
3- يكون الاخرون على وعي تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة وما حولها[12].

ومن امثلة المفارقة الدرامية قصة "نشيج

"زول الرقم مرة اخرى وانتظر . كان الجرس يرن في الجهة الأخرى

- الو الو ...

.....

ألو .. ألو .. انا عبد الكريم عثرت بالصدفة على دفتر الهواتف هل تصدقين ! لقد فقدته منذ عشر سنوات كاملة مضت وانا افتقد لفرصة الاستماع إلى دفء اصوات اصدقائي .. اصدقائي الذين شاركوني هول التجربة في المعركة .. وكان محمود نجم احدهم .. اين محمود

.....

كان من اروع اصدقائي حدثني عنك وعن ابنتكم هيفاء .. لا شك في انها كبرت الان واصبح لها العديد من الاخوة والأخوات ... الأطفال رائعون يا سيدتي مع انهم مصدر قلق ومعاناة متواصلة .. لم يتخل لحظة واحدة عن الحلم ، كان يحلم بولد جميل يسميه احمد .. هل جاء احمد ؟ .. لن انسى مواقفه وانسانيته وطيبته هو الذي أنقذني في المعركة الأخيرة والتي افترقنا بعدها .. لقد خاطر بحياته وبكل شيء من اجل الوصول إلى موقعي الذي كنت انزف فيه .. امسكني بيديه الحانيتين وهمس في اذني : هون عليك .. وكم من مرة اتفقنا على ان نلتقي وان احضر لبيتكم لرؤية هيفاء لكن الظروف ألجمتنا بقسوتها ..سأفعل ذلك قريبا ... عذراً لقد صادرتك في حديث مسهب ، صدقيني انا مشتاق إلى محمود اين هو .. هل خرج للعمل ؟

- نشيج ...[13]

ان شعرية هذه القصة تنهض في بنيها السردية على صوتين يعرضهما الرأوي بطريقة يشتغل فضاؤها السردي على تفعيل بنية المفارقة التي تحيل إلى شخصيتين يتحأوران عبر الهاتف وتتجلى المفارقة في ان المسؤول عنه الذي انقذ صاحبه فقد حياته منذ زمن وكانت الاجابة بنشيج متواصل ، لقد تجلت المفارقة في كسر أفق توقع القارئ ونقل اهتمامه القرائي إلى اتجاه اخر احدث دهشة لديه متجأوزا ذلك إلى ((مستوى سرد – درامي يخرج بها إلى موقف ورؤية ووجهة نظر وفلسفة تتدخل في منطقة التلقي تدخلا معززا بالطاقة السردية في تخصيب الحدث واثراء دلالته ، وبالطاقة الدرامية الذي تشتغل عليه المفارقة بقدر عال من الغنى في نمو ميكانزمات الحدث داخل بطانة هذا الموقف))[14] الذي فعّل المفارقة نتيجة تفعيل بلاغة التعبير بالصمت والنشيج الذي أغنى عن الحوار وأعطى إضافة نوعية في بنية المفارقة القصصية .

المفارقة اللفظية :

وهي "خط كلامي ، أو طريقة من طرائق التعبير ويكون المعنى المقصود منها مناقضا أو مخالفا للمعنى الظاهر"[15] ولعل عقدة المفارقة وجماليتها تتجلى في كونها تحمل مدلولين لدال واحد الأول حرفي ظاهر وجلي والثاني موحى به خفي والمفارقة اللفظية تشتمل على علامة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول ، لذلك فان حل شفرة المفارقة يستلزم مهارة خاصة لفهم العلامة ، وهي مهارة ثقافية وايدلوجية ، يشارك فيها المتكلم والمخاطب .

يقول جمال نوري في قصة خريف

"قالت له : اكتب عن الخريف لأنني أحبه .. ولم يستغرب ، لقد تجأوزت الثلاثين بقليل أنصت لها جيدا حدثته عن حياتها ، عن تفاصيل كثيرة وخيبات عديدة .... قالت له احبك .. لأنك رائع ورقيق وانساني ادرك ان نبضات قلبه الحزين بدأت تخفق بقوة وان صحراءه القاحلة قد استعادت نضارتها وخضرتها ومباهجها ..

قال : آسف .. لن استطيع الكتابة عن الخريف .. سأكتب عن ربيعنا الذي هزم الخريف"[16]

يعتمد القاص هنا لغة قصصية تحمل خصائص شعرية وتتمرد على معيارية اللغة فتنهمر الألفاظ بعذوبة اليفة تنفتح على تعدد التأويل فالبطلة تشاكس حبيبها طالبة منه ان يكتب عن الخريف وهي لازالت في ربيع عمرها

لكنها تصر على ذلك ويوحي لنا القاص بمعاناتها عبر اشارته إلى خيباتها المتعددة فضلا عن اشارته إلى معاناته التي اهرمته قبل الأوان ((صحراءه القاحلة تخفق .. استعادت نضارتها وخضرتها))
ان شعرية المفارقة تتجسد في خريفين يظهران في النص خريف الفصول وخريف العمر فالهزائم والخيبات اشعرت كليهما أنهما في خريف عمرهما بيد ان مجرد كلمة غزل اشعلت في داخله نار الربيع وأذكت في مشاعره لذة الحياة حيث ربيعه الذي هزم الخريف وأعادة إلى وهج الحياة .

مفارقة المفاجأة :
ويقوم هذا النوع من المفارقة على كسر أفق التوقع لدى المتلقي بصورة مفاجئة وخلال برهة زمنية خاطفة.
ومن أمثلة ذلك قصة (الفأرة)
((لم تكتف بقضم الكتب في غرفة الإستقبال بل سرعان ما هرعت إلى مخزن المؤونة وأتلفت كل شيء ... تفاقم سخط الزوج والزوجة ونصبا فخاً محكماً للأيقاع بها والتخلص منها إلى الأبد ... لكنهما فشلا في كل الكمائن التي أعداها بدراية وفطنة ... في ليلة عثر الزوج على الفأرة وظل يطاردها عبر الغرف بلا هوادة وكانت زوجته تنظر إليه بأشفاق ... تعب كثيراً ، ثم إستلقى على الأريكة مجهداً وإستسلم للنوم ... حين أفاقت الزوجة صباح اليوم الثاني وجدت زوجها وقد إختفت ذراعاه وفأرة كبيرة تحوم حول المكان))[17]
إن المفارقة مبنية على مشهد سردي واقعي في بنيته الزمانية والمكانية يوحي بفقر تعبيري فنحن إزاء حدث مألوف لكن النص نجح في الهرب من فخ المباشرة الفجة ، إذ أن هذا المشهد ما أن ينجح باستدراج المتلقي إلى تصور معين حتى تنفجر المفارقة مكونة علاقة جديدة تقتحم ذهن المتلقي وتجعله مشككاً بحواسه في عملية غسل ذهني منظم للصورة وإحلال صدمة المفاجأة مما يجعل النص أمام تلقٍ جديد يولد من رحم المفارقة ، فشعرية النص نبتت من دهشة المفاجأة التي إستطاعت أن تكسر أفق توقع المتلقي وتصعّد حالة الإنفعال والتوتر الوجداني عبر المفاجأة باللامتوقع في الحدث حيث أكلت الفأرة ذراعي الرجل !!!

مفارقة تبادل الأدوار
ينبني هذا النوع من المفارقة على مغايرة صاحب الدور لما هو معروف في الموروث الثقافي والذاكرة الجمعية ليؤدي دوراً جديداً مناقضاً تماماً بأن يلعب كل دور الآخر ومن أمثلة ذلك قصة (خوف) ((كلما أوقدت ناراً للشجار لجأ إلى غرفته وإنصرف يقرأ السطور معتقداً أن خلاصه يكمن هناك ... في الكلمات التي أطفأت عواصف حبه الأخير ، ولم يكن يثق إلا بالكلمات ... هو الذي أحب الحياة بطريقة مختلفة وأثنت لأصدقائه بأنها ينبغي أن تعاش بكل عنفوان وحب وعفوية هو الذي ينكفئ الآن في غرفة باردة ويعيد قراءة السطور ببلادة غريبة ويرتعب كلما شاهد طيفها يبمرق من أمامه))[18]
لقد عمد القاص هنا لإستفزاز المتلقي وإستثارته وحفزه على التأمل إذ كشف السرد موقفين متعارضين سلوكياً يعبران عن إشكالية راسخة في الذهن وهي إنقلاب دور المرأة لتصبح هي مثار رعب الزوج ولعل جمال نوري نجح في إستثمار التكثيف ليختزل الأمر بما ينتاب البطل من رعب كلما شاهد طيفها فهو لم يعد يرتعب من وجودها الحقيقي بل من طيفها أيضاً وبذلك نجح في الإبتعاد عن فخ الترهل القصصي وجعل بناء نصه السردي محكماً يقتصد في العناصر السردية وتأتي المفارقة في نهاية القصة لتشكل بنية مراوغة مكثفة سريعة الإيقاع عبر طاقة فنية إستثمرت المفارقة التي تتعارض مع التفكير الشرقي بالتعامل بين الرجل والمرأة .

مفارقة السخرية
وهي من المفارقات اللفظية القائمة على نمط كلامي أو طريقة تعبيرية يخالف فيها المعنى المقصود المعنى الظاهر عبر صيغة ذكية يقدم فيها النص طريقة تستثير المتلقي وتدعوه لرفض الدلالة الحرفية لمصلحة الدلالة الخفية ولعل جمالية مفارقة السخرية تكمن في تنوع تأويلها عبر الكشف عن المأسأوية المضحكة عبر تقديم الوجه الأخر للحالة بسخرية مريرة تهدف كما يقول ماكس بيريوم إلى إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيراً [19] ويتجسد ذلك بإبتعاد النص عن سطحية الفكرة والإقتراب من مفازات تتدرج في تناول العوامل الخفية .

ومن ذلك قصة إلتحام ((لاذا بعضهما واقتربا حد الإلتحام وكان القصف وحشياً وكان الظلام يتمزق بشظايا طائشة متطايرة في كل إتجاه ... إقتربا أكثر واستمعا إلى وجيب قلبيهما وانفاسهما ومخاوفهما ... هطل المطر بقوة تلاحما ينشدان الدفء في ليلة قل مثيلها ... قصف ومطر ومخاوف وموت يرتعب .
إقتربا أكثر في لجة الظلام المستباح ... لم يكن الحوار ضرورياً طالما أدرك كل واحد منهما وفي قرارة نفسه من يكون الآخر ... كيف إجتمعا وكيف إلتصقا في هذه الحفرة أعزلين ويائسين إلا من رغبة مشتركة جعلتهما يتمسكان بالحياة في آتون هذه الحرب المندلعة ... إقتربا أكثر غير آبهين بالقنابل التي تحرث الأرض))[20]
إن مفارقة النص تتجلى في توحد الحب والحرب فلقد كانت الحرب والقصف الوحشي هي التي جمعتهما في تلك الحفرة التي إجتمعا بها ليحتميا من القصف لم يكن يجمعهما جامع قبل الآن ولم يكونا ملتقيين قبل الآن لكن الذي جمعهما الخوف الذي تحول في الحفرة بسبب الحب الذي خلق التحدي في نفسيهما إلى طمأنينة أنستهما العالم وما حوله .
إنها ثنائية الحب والحرب التي تجلت في مفارقة غريبة خلقت حالة من الإلتحام الجنسي بين جسدين بشريين أسهمت الحرب ومأساتها المدمرة في جمعهما بإلتحام جسدي يتحدى الشظايا والقصف ولعل شعرية المفارقة تتجلى في أن يصبح آتون الحرب هو الحاضن للحب الذي يوحد بين الجسدين .

مفارقة التحول :

ويبنى هذا النوع من المفارقة على البدء بدلالات إيجابية مفعمة بالصعود نحو ذروة الإتجاه الصحيح لكنها سرعان ما تنقلب سلبية ، وما يميز مفارقة التحول انها تمتح من إحساس بزيف المفاهيم ولا واقعيها . ومنها قصة تظاهرة ((عندما تمزق الحشد وتناثر كالعقد في اتجاهات مختلفة ، وجد نفسه يتبع مجموعة كبيرة من الرجال والشباب والصبيان ، قرأ في عيونهم الفضول ولمح أعناقهم التي كانت تشرئب بين الفينة والاخرى لاصطياد مشهد لهم لم يكن يعرف أهميته حد تلك اللحظة . قرر أن يسارع متناسياً وقاره والشيب الذي خط فوديه ، أسرع مأخوذاً بالتساؤل والاستغراب الذي إزداد حين لمح برقا غريبا في العيون المبحلقة بمقدمة التظاهرة الصغيرة التي تكونت بعد إنتهاء التجمع ... قرر أن يهرول بعد أن تأكد أن الجميع غير مكترث بوجوده وأن كل واحد منهم كان منهمكاً بنفسه ... بعد هنيهة شاهد مقدمة القطيع الذي لم يكن ليتبع غير صبية شهية كل ما فعلته أنها وسعت فتحة التنورة التي كشفت عن أفخاذها البضة))[21].
إن مفارقة التحول متجسدة الآن في النص باسلوب ساخر ذكي يتلاعب بعاطفة المتلقي الذي يشده القاص إلى تظاهرة بشرية مجتمعة في مكان ما لا يصرح القاص بأهدافها لكنها حينما تتجزأ إلى مجاميع يتبع البطل الكهل مجموعة متسارعة مبحلقة بهرول معهم ليجد نفسه في نهاية المطاف أمام مجموعة تحكمهم غرائزهم يتبعون فتاة كشفت عن أفخاذ بضة .
إن جمال نوري هنا يكشف عن براعة فذة في إستثمار اللغة التي تكشف عن علاقات جمالية تتجاوز المعنى الحرفي للمفردة بخلق مسافات جديدة بين الدال ومدلوله مستعيرة من الشعر إيحائيته (العيون المبحلقة) (مقدمة القطيع) ... كلها تجسد شاعرية النص فهؤلاء أشبه بقطيع تحركه حيوانيته ويسير دون هدى تابعا غرائزه ، ولعل من المهم القول أن شعرية المفارقة تمثلت في أن هذا الكهل الذي حضر هذا التجمع لهدف ما ... ثم تبع تلك الكتلة البشرية متناسياً عمره ومهرولاً معهم ظاناً أن الهدف الساعين من اجله يستحق كل تلك المعاناة لكنه يقع في خيبة الأمل حينما لا يجد إلا أفخاذاً بضة لفتاة غير عابئة بما حركته من غرائز حيوانية جسدها القاص بوصفه إياهم بالقطيع .
وكذا فقد نجحت المفارقة بجعل القصة ذات نهاية مفعمة بالآسى الساخر عبر لعبة عقلية ذكية توحي بالإحباط واللامبالاة لكنها تكشف في الوقت ذاته عن عبثية الأشياء ولا جدواها .

مفارقة التضاد

ويقوم هذا النوع من المفارقة على التضاد أو التقابل بين موقفين أو حالتين أو شخصيتين ومن خلال المقابلة بينهما تحدث المفارقة تأثيرها ويبرز التناقض بين الطرفين عبر تفتيت الأحداث وتناقض الموقفين المتقابلين وتضادهما وغالباً ما تستثمر مفارقات هذا النوع لعبة التقابل والتضاد بين المفردات اللغوية لتعلي من شأن المفارقة وقيمتها .
ومن خلال ذلك قصة حلوى مرة :

((كلما استرقت النظر إلى عينيه الواسعتين المتطلعتين أبداً إلى الجدار المقابل أدركت إستحالة عودته محملاً كدأبه بلعب جديدة تسرق منها كل وقتها أصبحت منذ حل الحزن ضيفاً ثقيلاً لابدة قرب النافذة مستشعرة بأسى شفيف يغمر روحها وألم ممض في أعماقها ، يستدرج أية إجابة شافية عن سر إنطفاء الحوار بينها وبين والدتها التي لم تعد تعنى بها مثلما كانت تفعل قبل أسابيع .
ما كان يثيرها أكثر من ذلك أن ثمة أشياء كثيرة تعتمل في صدر أمها التي جعلت تختلف إلى السوق أكثر من مرة في اليوم ... ولم يمنعها الفستان الأسود من أن تمرر أحمر الشفاه على شفتيها من دون مبالغة ...
ومع أنها لم تكن تنسى إحضار الحلوى غب كل جولة من جولاتها إلا أن ذلك المذاق اللاذع لم يكن يفارق لسانها وهي تنصرف إلى عزلتها متطلعة بوله غامر إلى عيينه الحزينتين الساكنتين خلف زجاج ثقيل))[22] .
إن مفارقة التضاد في القصة متجسدة منذ العنوان القائم على لعب متعمد بالمدلولات المعجمية للغة باتجاه تبئير النص نحو علاقات غير مألوفة مقصودة إذ كيف تصبح الحلوى مرة ما لم يكن القاص يحمل ما يريد إيصاله عبر لغة تزيح المعنى المألوف ليحل محله مفهوماً جديداً يكسر الدلالة المعجمية لصالح دلالة جديدة يرجحها السياق ، فسياق القصة التي تبدو بطلتها الأولى البنت متأكدة من إستحالة عودة أبيها كما كان يجلب لها اللعب ويمنحها المزيد من الهدايا والطفلة التي أضحت تلازم النافذة وتشعر بضياع حتى العلاقة مع والدتها التي أهملتها ولم تعد تحاورها وتعنى بها كما كانت بل بدأت تهتم بجمالها وأحمر شفتيها ... لذلك لم تعد الحلوى التي تجلبها لها تسعدها كما كانت ... بل أضحت حلوى مرة لا تثير في نفسها الشعور باللذة بل أضحت تلذع فمها وتثير فيها القرف .

إن المفارقة تشكل لحمة القص وسداه في مجموعة (غورنيكا عراقية) لجمال نوري فقد نجح القاص في إستقصاء واقعنا اليومي العاج بالمفارقات المضحكة بمأسأويتها المبكية بسخريتها ولعله كان يسخر بطريقة موارية تفضح عري وزيف الواقع المعاش الذي نحاول تجميله دون جدوى وبذلك غدت المفارقة في قصص جمال نوري أداة تعيد للحياة توازنها وترفع من الإحساس الجمالي لدى المتلقي وتثير ضحكته الساخرة المختبئة خلف دموع المأساة أو هي كما وصفها غوته ((ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق)) .

هوامش البحث

1. المفارقة والأدب (دراسة في النظرية والتطبيق) : د. خالد سليمان ، دار الشروق ، عمّان، 1999 ، ص 19 .
2. ينظر مفهوم المفارقة في النقد العربي : نجاة علي ، مجلة نزوى ع (53) لسنة 2009 .
3. المفارقة وصفاتها : دي . سي . ميويك ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون ، ط2 ، د.ت ، ص 39 .
4. المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1977 ، ص 258 .
5. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : د. سعيد علوش ، دار الكتاب ، بيروت ، 1985، ص 162.
6. للتفصيل في ذلك ينظر المفارقة في شعر أحمد مطر : محمد عبد الواحد عبد الحميد ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية جامعة الموصل 2010 بأشراف :د. محمد جواد البدراني .
7. ينظر الذات المتشظية والعالم المأزوم دراسة مفارقية : د. محمد جواد حبيب البدراني ، بحث ضمن وقا ئع المؤتمر الدولي (الأدب والعولمة) كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة تشرين ، اللاذقية 4-7 /4 / 2011.
8. ثريا النص (مدخل لدراسة العنوان القصصي) : محمود عبد الوهاب ، بغداد ، 1995 ، ص 10 .
9. المغامرة الجمالية في النص الروائي : د. محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2010 ، ص 159 .
10. ينظر شبكة المعلومات العالمية موقع (أقلام) .
11. غورنيكا عراقية (قصص قصيرة جداً) جمال نوري ، دار نينوى ، دمشق ، 2010م ، ص 53 .
12. ينظر المفارقة والأدب / 26 وشعرية القصة القصيرة جداً : جاسم خلف أليا س ، دار نينوى ، دمشق ، 2010 ، ص 158 .
13. غورنيكا عراقية / 47 .
14. المغامرة الجمالية للنص القصصي : د. محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2010 ، ص 91 .
15. المفارقة والأدب / 26 .
16. غورنيكا عراقية / 36 .
17. نفسها / 31 .
18. نفسها / 37 .
19. المفارقة والأدب / 47 .
20. غورنيكا عراقية / 35 .
21. نفسها / 34 .
22. نفسها / 16 .